الدَّرس (٥)،

تطْرِيزُ

الشيخ صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

حفظه الله تعالى

علىٰ

الإعلام بكفر من ابتغى غير الإسلام

للعلامة عبد الله بن عبد الرحمن آل جبرين

رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بالتنسيق مع موقع: http://www.j-eman.com

أخي الطالب إرسالك للأخطاء التي تتخلل التفريغ يسهِّل إخراج نسخة مصححة
attafreegh@gmail.com

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الحمْـدُ لله رَبِّنا، وأشْهَـدُ أن لَا إلـهَ إلَّا اللهُ وحْـدَه لا شَريكَ لَه، وأَشهَـدُ أنَّ محمَّدًا عَبدُه وَرَسُولُه.

أمَّـا بَـعْدُ..

فهٰذا هُو الدَّرسُ **الخامس** مِـن بَرنـامَجِ (الـدَّرسِ الواحِـدِ) **الخـامس**، والكِتَـابُ المقْـرُوءُ فيــهِ هـوَ: **(الإعلام بكفر من ابتغىٰ غير الإسلام)** للشيخ عبد الله بن جبرين حفظه الله.

وقَبلَ الشُّروعِ في إقرائِه لا بُدَّ مِن ذِكرِ مُقدِّمتَينِ اثنَـتَينِ:

المقدمة الأولىٰ: **التَّعريف بالمصنِّف**، وتنتظم في ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: جرُّ نسبه: هو الشيخ الصَّالح المتفنِّن عبد الله بن عبد الرَّحمٰن آل جبرين، يُكنـىٰ بـأبي عبد الرَّحمٰن، ويعرف بابن جبرين نسبةً إلىٰ أحد أجداده.

المقصد الثاني: تاريخ مولده، وُلد سنة تسع وأربعين بعد الثلاثمائة والألف (١٣٤٩).

المقصد الثالث: تاريخ وفاته: لا يزال حفظه الله حيًّا بين أظهرنـا، وإنَّمـا أورد هـذه المقصـد تحقيقـا لطراد منهج التَّعريف بالمصنِّف، وله من العمر اليوم ثمانٌ وسبعون سنة. (١)

المقدمة الثانية: **التعريف بالمُصَنَّف**: وتنتظم في ثلاثة مقاصد أيضًا:

المقصد الأوَّل: تحقيق عنوانه: طُبع الكتاب في حياة مصـنفه باسـم «الإعـلام بكفـر مـن ابتغـىٰ غيـر الإسلام» ونشره بهٰذا الاسم في حياته كافٍ في إثباته من غيره من الاسماء ..

المقصد الثاني: بيانُ موضوعه: قرر المصنِّف حفظه الله في هٰذا الكتاب كُفر مـن ابتغـىٰ دينًـا غيـر ديـن الإسلام، وأنَّ مآل أهل الأديان جميعًا بعد بعثة النبي ﷺ هو النَّار إن لم يؤمنوا به ويصدِّقوه.

المقصد الثالث: توضيح منهجه: أصل هٰذا الكتاب اللَّطيف ردٌّ علىٰ أحد الكُتـاب في دعـوًىٰ ادعاهـا؛ استغرب فيها القول بكفر اليهود والنصارىٰ وسائر الأديان، فردَّ عليه المصنِّف دعواه في سياقٍ متتابع، حشَاه بالدلائل النَورَانية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مع بيان ما يُستفاد منها، ولـم يفْصل بـين تضـاعيف هٰذا المسرد إلَّا بعناوين جانبية.

(١) توفي الساعة الثانية من ظهر يوم الاثنين ٢٠ رجب ١٤٣٠ .

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

تقديم الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرَّحمٰن الجبرين

الحمد لله الذي خلقنا للعبادة، ونفذ فينا تصرفُه ومراده، ووفق من شاء من خلقه لتوحيده وإفراده، وخذل آخرين ورماهم بطرده وإبعاده، أحمده سبحانه وأشكره، وقد وعد الشَّاكرين بالزِّيادة، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وهي أفضل شهادة، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلىٰ آله وأصحابه وأحفاده.

أما بعد..

فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذَّاريات]. ومعنىٰ (يعبدون) يوحدون، أي أنَّه تعالىٰ أوجد هٰذا النَّوع من الإنس والجن، وكلفهم وأمرهم ونهاهم، وقد أقام عليهم الحجة، حيث آتاهم العقول التي يحصل بها التفكر والإدراك، ونصب لهم الآيات البينات، التي يحصل بالنظر فيها التذكر والاعتبار، فسخر لهم الليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم مسخراتٌ بأمره، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ومطر ونبات، وأرزاق وأقوات، وجموع وأشتات، وإخوان وأخوات، وآباء وأمهات، وأبناء وبنات، وآيات بعد آيات.

وقد لفت أنظارهم إلىٰ هذه المخلوقات، فقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾[النبأ] الآيات. وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾[ق] الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [الروم] الآية، ونحو ذلك من الأدلة والبراهين.

وقد انتبه لذلك بعض العقلاء في الجاهلية والإسلام، وعرفوا أن هٰذا الكون لابد له من خالق مدبِّرٍ متصرف، فقد ذكر المؤرخون خُطبَة قُس بن ساعدة الإيادي الجاهلي، والذي ذكر فيها: أن لله دينًا هو أحب من الدين الذي هم عليه، ونبيًّا قد حان أجل خروجه، وهكذا ذكروا قصة زيد بن عمرو بن نُفيل الذي ترك عبادة الأصنام، وحرَّم أكل ما أُهل به لغير الله، وهو جاهليّ، وغيره كثيرٌ وفي ذلك يقول ابن المعتز:

فيا عَجَبا كَيْفَ يُعْصىٰ الإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يجحدُهُ الجاحِدُ

وفي كُلِّ شيءٍ لهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ وَاحِدُ

وَلَهُ في كُلِّ تَحرِيكَةٍ ... وَتَسْكِينَةٍ أَبَدًا شَاهِدُ

ويقول آخر:

تَأَمَّلْ في نَباتِ الأَرضِ وانظُرْ ... إِلىٰ آثَارِ مَا صَنَعَ المليكُ

عُيُونٌ مِنْ لُجينٍ شَاخِصَاتٌ ... بأحدَاقٍ هِيَ الذَّهبُ السَّبِيكُ

علىٰ قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ بِأَنَّ الله لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

ومع هذه الآيات والبينات، فإن ربَّنا سبحانه لم يتركنا هملًا، بل أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وبيَّنَ للناس ما نزّل إليهم، لئلا يكون للناس علىٰ الله حجة بعد الرسل، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل]

وورد في الحديث عن زيد بن ثابت، وأُبيٍّ بن كعب مرفوعًا: «لو أن الله عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذَّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته أوسع من أعمالهم» رواه أحمد وغيره.

وحيث إنَّ جميع نوع البشر خلقوا للعبادة، فإن فرضًا عليهم أن يدينوا لله تعالىٰ بالتوحيد، ولنبيه ﷺ بالطاعة، فمن أطاعه وشهد له بالرسالة وتقبَّل شريعته فهو من أهل الجنة، ومن عصاه ودان بغير الإسلام فهو من أهل النار.

وقد ختم الله الرسالة بنبينا محمد ﷺ، وجعل دينه وشريعته آخر الشرائع، وأرسله إلىٰ جميع الناس بل إلىٰ الثقلين، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ». قيل: ومن يأبىٰ يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبىٰ» رواه البخاري.

وقد سلَّط الله علىٰ الإنسان أنواعًا من الأعداء:

- **كالشياطين**، قال الله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾[مريم]، أي تدفعهم إلىٰ التَّمادي في الكفر وتصدهم عن الهدىٰ.
- وكالنفس الأمَّارة بالسوء والنفس اللوامة.
- وكالهوىٰ الذي يُعمي ويصم.
- وكالشهوات التي تغري بتناولها من يميل إليها، ولو كانت محرمة أو ضارة بالعقل والدِّين.

وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «حُفَّت الجنة بالمكاره، وحفّت النار بالشهوات» متفق عليه.

فلأجل ذلك لا يُستغرب قلة من يعتنق الإسلام ويدين به، ولو كان هو دين الفطرة، ودين العقل السليم، لكن لوجود الصوارف عنه صار أهلُه قلةً[1] في غيرهم، وكثيرًا ما يذكر الله عن الأكثرين قلة التعقل

---

(١) [فائدة] إعراب (صار أهلُه قلةً) خبر صار هٰذا هو الوجه المشهور لذلك رددته عليك، الأصل أن خبر صار من أخوات كان يكون منصوبا، لكن لنحاة وجه ثانٍ ذكره ابن هشام في «مغني اللبيب» أنها أيضا تكون مرفوعةً، ويكون عملها كعمل إن .

من قواعد العلم وهي قاعدة نافعة في النحو وغيره (أن المعتمد الأخذ بالمشهور وترك المهجور)، كان السلف يحذِّرون من غريب العلم، فالأصل قرأ الإنسان في مجمع عام أن يأخذ بالمشهور، فإذا قرأ أجرىٰ لسانه بالنحو علىٰ المذاهب المشهورة المنشورة في كتب عامة النحاة، ونأىٰ بنفسه عن المذاهب المهجورة، وكذلك إذا قرأ شيئا من القرآن الكريم فإنه يقرأه بقراءة المستعملة في البلد، ولا يقرأه بقراءة أخرىٰ لئلا

=

والعلم، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[الأعراف]، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت].

وقد كنت كتبت مقالة كرد علىٰ شخص نشر مقالة يبرر فيها الأديان التي يدين بها المشركونَ واليهودُ والنصارىٰ والهندوس وغيرهم، ويستبعد أن يعذِّبهم الله بالنار.

وقد نُشرت تلك المقالة في بعض الصحف المحلية، فأحبَّ بعض الإخوان طبعها أو الزيادة عليها في رسالة صغيرة، فأجبته إلىٰ ذلك لتعمَّ الفائدة، والله الموفق والمعين، وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم.

عبد الله بن عبد الرَّحمٰن الجبرين

ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في تَقدُمة كتابه أصلين عظيمين:

أحدهما: تقرير التوحيد.

والآخر: إثبات الرسالة.

فأما الأصل الأول وهو: تقرير التوحيد، فبناه علىٰ دليلين اثنين:

أحدهما: دليل شرعي.

والآخر: دليل كوني.

فأما **الدليل الشرعي** فقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾، وهذه الآية هي أجمع آية في بيان الحكمة من خلق الخلق، وأن الله ﷻ لم يخلق الخلق ليستكثر بهم من قلة، ولا ليستعز بهم من ذلة، ولا يتقوىٰ بهم من ضَعفه، وإنما خلقهم ليعبدوه، (ومعنىٰ (يعبدون) يوحدون) كما قاله جماعة من السلف، فكل ما في القرآن من ذكر العبادة كما في هذه الآية أو الأمر بها كما في قوله تعالىٰ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾[البقرة:٢١] فإنها مشتملة علىٰ الأمر بالتوحيد.

وأما الدليل الثاني فهو **الدليل الكوني**: وهو النظر إلىٰ ما ذكر الله ﷻ من الآيات البينات والبراهين الباهرات، في ملكوت الأرض والسَّمٰوات، فإذا نظر الإنسان إلىٰ الليل والنهار والشمس والقمر وكرر النظر فيها وقلبه علم أن سماءً ذات أبراج وأرضا ذات فجاج وبحارا ذات أمواج ومطرا ونباتا لهن خالق قهار، كما قيل لأعرابي بما تعرف الله؟ فقال: البعرة تدل علىٰ البعير، والأثر يدل علىٰ المسير، فسماءٌ ذات أبراج وأرضٌ ذات فجاج وبحارٌ ذات أمواج، ألا تدل علىٰ الواحد القهار.

ثم ذكر حفظه الله من الآيات القرآنية ما يصدق بث هذه الآيات الكونية، وقد أثمرت هذه الآيات الكونية في نفوس جماعة قبل الإسلام الإقرار بوحدانية الله ﷻ كما قال قُس بن ساعدة الإيادي وهو أحد

= يشوش علىٰ الناس دينهم .

الجاهليين الذين عاشوا وماتوا في الجاهلية فقد ذكر في خطبته أن لله دينا هو أحب من الدين الذي الناس عليه، ونبيا قد حان أجل خروجه، واستدل علىٰ ذلك بتصريف الله ﷻ لملكوته وتدبيره لأحوال خلقه.

وهكذا وقع هٰذا في قصة زيد بن عمرو بن نفيل وأخباره في «الصحيحين» وغيرهما.

وقد قال المصنف في حقِّ زيد: (وهو جاهلي) والمراد أنه عاش في حياة الجاهلية، لا أنه مشركٌ كحال أهلها، إذ ثبت من طرق يقوي بعضها بعضا «أنه يُبعث يوم القيامة أمة وحده»، وفي هٰذا إعلام بأنه من أهل الإيمان، وقد أورده بعض المصنِّفين في كتب الصحابة؛ لكن مال عن ذلك ابن حجر في «الإصابة» ولم يعده من أصحاب النبي ﷺ لأنه رأىٰ النبي ﷺ قبل أن يبعث النبيُّ ﷺ.

ثم أورد من الأشعار جملة صالحة في تقرير وحدانية الله ﷻ.

أما الأصل الثاني: **فهو إثبات الرسالة**، وذلك في قوله: (فإن ربنا سبحانه لم يتركنا هملًا) يعني: مُهملين، لا نأمر ولا ننهىٰ، (بل أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وبيَّنَ للناس ما نزّل إليهم، لئلا يكون للناس علىٰ الله حجة بعد الرسل)، كما (قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾) وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[فاطر]، ووعد الله ﷻ من أطاع نبيه بالفلاح ومن عصىٰ نبيه بالخسار كما قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾[المزمل].

وأورد في تقرير الرِّسالة ما جاء عن النبي ﷺ مما رواه البخاري أنه قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ»، والمراد: بالأمة هنا أمة الدعوة ممن أدرك دعوة النبي ﷺ وسمع به، ثم قيل للنبي ﷺ: (ومن يأبىٰ يا رسول الله، فقال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبىٰ»).

وبعد ذكر هذين الأصلين نبه المصنف رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ أن العبد قد يحال بينه وبين الإقرار بالتوحيد وإثبات الرسالة بتسلط أنواع من الأعداء عليه يحول بينه وبين الإيمان، ومن جملة ذلك:

(الشياطين) التي تأزّ الناس أزًّا و(تدفعهم إلىٰ التمادي بالكفر وتصدهم عن الهدىٰ).

ومنها (النفس الأمارة بالسوء) وهي: التي تحث صاحبها علىٰ مواقعة الخطيئة مما فيها من الظلم والجهل، وهذه الصفة نفس ابن آدم، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب].

وذكر المصنف من جملة الأعداء (النفس اللوامة) وهٰذا لا يصح إلا علىٰ تفسير من فسر النفس اللوامة بأنها النَّفسُ المذمومة التي تلوم صاحبها بعد فوات محل النَّدم، إذا صار في الآخرة من أهل النار، وهٰذا أحد أقوال أهل العلم في تفسير النفس اللوامة.

والصحيح أن النفس اللوامة هي التي تلوم صاحبها علىٰ الخير إذا فرط فيه وعلىٰ الشر إذا وقع منه،

وحينئذٍ لا تكون من جملة الأعداء، فإنما يصح عدها من جملة الأعداء علىٰ المعنىٰ الأول.

ومن جملة الأعداء الهوىٰ الذي يجري في قلب الإنسان فيُعميه عن الحق ويُصمّه عن سماع آياته، ومنها الشهوات التي تغري بتناولها من يميل إليها، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات» وحينئذٍ (لا يستغرب قلة من يعتنق الإسلام)؛ لأن هؤلاء الأعداء تتسلط علىٰ الخلق فتحول بينهم وبين الإيمان، وغالب ما جاء في القرآن عند ذكر الكثرة هو ذمُّها كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ وقال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

ثم أفصح الشيخ عن أصل هٰذا الكتاب وأنه مقالة رد بها علىٰ دعيٍّ ادَّعىٰ أن المشركين واليهود والنصارىٰ والهندوس علىٰ دين صحيح، ويُستبعدُ أن يعذبهم الله ﷻ في النار.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله وحده وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم.

وبعد..

فقد اطَّلعت علىٰ ما نشر في جريدة «الشرق الأوسط» العدد (٥٨٢٤) يوم الثلاثاء الموافق ٤/ ٦/ ١٤١٥هـ بقلم من سمَّىٰ نفسه: (عبد الفتاح الحايك) الذي اعترف بأنه ليس من أهل الإفتاء، ومع ذلك تجشَّم الفتوىٰ بغير علم، وحكم لليهود المعاصرين والنصارىٰ والهندوس والبوذيين والقاديانيين والمشركين والمنافقين بأنهم من أهل الجنة، واستغرب أن هٰذه الجموع والمليارات من الأُمم مآلهم إلىٰ النار، وما علم أَن الله تعالىٰ خلقَ الجنة وخلق لها أهلها وهم في أصلاب آبائهم، وخلقَ للنار أهلًا وهم في أصلاب آبائهم، وأنه قال للنار: أنت عذابي أُعذِّب بكِ من أشاء، وللجنة: أنتِ رحمتي أرحم بكِ من أشاء، ولكل منكما عليَّ مِلؤها.

وأخبر تعالىٰ بأن أكثر الناس هم الضَّالون في قوله تعالىٰ: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[سبأ]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾[سبأ]، وقوله: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾[يوسف].

وقد أخبر الله عن إبليس أنه قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾[ص]، وقال: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[الأعراف]، ونحو ذلك من الأدلة، وأخبر النبي ﷺ أن بعث النار من كل ألف تسعمائةٌ وتسعة وتسعون. وواحدٌ في الجنة.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في هذه الجملة دعوىٰ هٰذا الرجل الذي استبعد بشبهة عرضت له أن يجعل الله ﷻ اليهود والنصارىٰ والهندوس والبوذيين والقاديانيين والمشركين من أهل النار، وذلك لكثرة أعدادهم، وأمثال هٰذا الكاتب يبتلون من جهتين:

إحداهما: عروض الشبه لهم.

والثانية: بث هذه الشبهة والغفلة عن عرضها علىٰ أهل العلم ليبينوا لهم.

فيكون ذلك أشد لإثمهم وأعظم لشرهم، وقد ذكر إمام الدعوة «باب ما جاء في منكري القدر» في كتاب «التوحيد» أن المتعلم يعرض الشبهةَ إذا عرضت له علىٰ العالم كما وقع من عبد الله بن الديلمي لما وقع في نفسه شيء من القدر فعرضه علىٰ زيد بن ثابت وأبي بن كعب وغيرهما من أصحاب النبي ﷺ فاندفعت

عنه الشبهة.

فالحقيق بكل أحدٍ من الكُتَّاب فمن دونهم، إذا عرض لـه شـبهة في الطريـق أن يعرضـها علـىٰ العلمـاء العارفين، فإن العالم العارف إذا تواردت عليه عساكر الشبهات ردها واحدة واحدة خاسرة كاسدة كما قـال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في «مفتاح دار السعادة».

فإن الآيات البينات والأحاديث الصحيحات ثابتة في أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعذِّب من لم يـؤمن بـه ولـو كـان أهـل الأرض جميعا، وأكثر الناس بصريح الكتاب والسـنة هـم أهـل الظـلال والفسـاد، فهـم أكثـر المسـتحقين للعذاب.

وقد ثبت أن النار لا تزال تطلب ملأها في القرآن والسنة، وأما الجنة فيبقىٰ فيها بقية فيخلق الله عَزَّ وَجَلَّ خلقًـا ينشئهم فيدخلهم الجنة، في هٰذا دليل علىٰ أن أهل الجنة أقل من أهل النار، وحينئذ لا يستبعد أن تكون هـذه الجموع والمليارات من جملة أهل النار، لصراحة الخطاب الصادق والوحي الصـريح في الكتـاب والسـنة بصيرورة أكثر الناس إلىٰ النار.

محمد ﷺ خاتم الأنبياء، وشريعته خاتمة الشرائع:

وقد أرسل الله محمدًا ﷺ خاتم النبيين، وشريعته خاتمة الشرائع، ونسخ برسالته جميع الأديان، وكلَّف جميع الناس أن يتَّبعوه بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف]، وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[سبأ].

وقال النبي ﷺ: «وكان النبي يُبعث إلىٰ قومه خاصة وبُعثتُ إلىٰ الناس عامة» وقال: «بُعثت إلىٰ الأسود والأحمر».

وثبت عنه ﷺ أنه قال: «أُمرت أن أُقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أَن لا إلٰه إلا الله وأنِّي رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم». وفي رواية: «حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به».

وأخبر ﷺ بأركان الإسلام بقوله: «بُني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت».

ولا شك أن من امتنع من الشهادة لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة ولم يُقم الصلاة ولا الزكاة والحج فليس بمسلم ولا مؤمن؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بي إلاّ دخل النار»، أو كما قال.

وقد أنكر الله علىٰ اليهود قولهم: لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة بقوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[البقرة]، فدل علىٰ أنهم من أهل النار، وأن هذه المقالة صدرت بغير علم، كما أنكر عليهم قولهم: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾[البقرة]، وكذا قولهم: ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[البقرة] وهي الدِّين الذي بُعث به محمد ﷺ، فقال: ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ

هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[الحج].

وقد أخبر الله تعالىٰ بأن هٰذا هو الدين الذي اختاره ورضيه للأمة فقال تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[المائدة]، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران].

والإسلام هو ما بني علىٰ الأركان الخمسة كما فسره النبي ﷺ في حديث جبريل المشهور، فمن لم يدخل في هٰذا الإسلام ويحافظ علىٰ أركانه فهو من الخاسرين، والنار أولىٰ به.

ذكر المصنف حفظه الله ﷻ في هذه النبذة: أن (محمد ﷺ هو خاتم النبيين) كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب:٤٠]، (وشريعة) النبي ﷺ (هي خاتمة الشرائع) كما قال الله ﷻ في وصف الكتاب: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[المائدة:٤٨] يعني: مهيمنا علىٰ الكتب السابقة، ولا تكون الهيمنة عليها إلا بنسخ ما سلف من الكتب بهٰذا الكتاب وهو القرآن الذي أوتيه النبي ﷺ، فنسخ النبي ﷺ بدينه جميع الأديان التي تقدمته، وأمر الله ﷻ الناس بأن يؤمنوا بهٰذا الرسول ويتبعوه كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

واسم الناس في أصح قولي أهل العلم يشمل الإنس والجن، لأن أصل هذه المادة هو النَّوس، والنوس هو: الاضطراب والحركة، وهٰذا شامل للجن والإنس، فإنهم جميعًا يتحركون، فبعثة النبي ﷺ وقعت للطائفتين جميعًا.

وذكر المصنف من الأحاديث الدالة علىٰ بعثته ﷺ إلىٰ الناس عامة قوله ﷺ كما في «الصحيحين» قال: «وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة، وبعثت إلىٰ الناس عامة »، وقوله ﷺ كما في «صحيح مسلم»: «بعثت إلىٰ الأسود والأحمر» يعني إلىٰ كلِّ جنس من أجناس البشر.

وفي «الصحيحين» أيضا من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله...» إلخ الحديث، ولفظ (الناس) يعمُ جميع الخلق.

وقد أخبر النبي ﷺ بأركان الدين الذي جاء به وذلك في حديث ابن عمر المخرج في «الصحيحين» وفيه أن النبي ﷺ قال: «بني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.. » إلىٰ آخر الحديث، وفيه عد أركان الإسلام ومبانيه العظام.

و(من امتنع من الشهادة لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة ولم يُقم الصلاة ولا) أدىٰ (الزكاة ولا حج) بيت الله الحرام (فليس بمسلم ولا مؤمن)، بل إنما يثبت إسلام العبد إذا جاء بالشهادتين.

وهٰذا القدر الذي يثبت به الإسلام ابتداءً، وأما القدر الذي يبقىٰ به الإسلام فلابد من إتيانه بالفرائض التي لا يكون مسلما إلا بها ومن جملتها الصلاة.

ثم ذكر المصنف أن الله ﷻ أنكر ما قالت اليهود: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ [البقرة:٨٠]، وذكر أن هٰذه القالة قالة مكذوبة ودعوىٰ زائغة عن الحق، فقد أكذبهم الله ﷻ إذ قالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ فقال الله ﷻ: ﴿قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠﴾، والمعنىٰ: بل إنكم تقولون علىٰ الله ما لا تعلمون، وإنما جرهم إلىٰ هٰذا القول أنهم زعموا أن الجنة لهم ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ﴾[البقرة:١١١] يعني: ما يقع في نفوسهم من الأماني، فأكذبهم الله بطلب البرهان وقال لهم: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾ ولا برهان لهم.

وكذلك ذكر دعواهم وقالوا: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾ فأكذبهم الله بقوله: ﴿قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥﴾ وهي الملة التي رضيها الله ﷻ لرسوله وأتباعه كما قال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ﴾[النحل:١٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ﴾[آل عمران:٦٨]، فأولىٰ الناس بابراهيم -عليه الصلاة والسلام- هو محمد ﷺ وأتباعه، ولذلك صار دينهم هو الدين الكامل كما قال الله ﷻ ممتنًّا عليهم: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[المائدة:٣].

وهذه الآية نزلت علىٰ النبي ﷺ في حجة الوداع في يوم الجمعة يوم عرفة كما ثبت ذلك في «الصحيحين»، ثم ذكر الآية الحجة في هٰذا الباب وهي قول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾[آل عمران].

وابتغاء غير دين الإسلام يكون علىٰ حالين اثنين:

الحال الأولىٰ: أن يرضىٰ بدينٍ غير دين الإسلام، كمن يرضىٰ أن يكون يهوديا أو نصرانيا أو بوذيا أو غير ذلك.

والحال الثانية: أن يرضىٰ بالتجرُّد من النسبة إلىٰ الأديان، فلا يقع في قلبه عبوديةٌ لأحد، كما هو حال الملاحدة.

ثم بين المصنِّف أن الإسلام هو ما بني علىٰ الأركان الخمسة كما فسَّره النبي ﷺ في حديث جبريل، فمن لم يدخل في هٰذا الإسلام ويحافظ علىٰ أركانه فهو من الخاسرين والنار أولىٰ به.

أدلة تكفير اليهود والنصارى

وقد ذم الله اليهود والنصارىٰ حتىٰ في سورة الفاتحة في قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[الفاتحة]. فاليهود مغضوب عليهم، والنصارىٰ ضالون كما في الحديث الصحيح.

وقد حكىٰ الله تعالىٰ عنهم مقالات كفرية كقوله: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝١٧﴾ [المائدة].

وكذلك: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣﴾[المائدة].

﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ۝٧٢﴾ [المائدة].

وقال عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٣٠﴾[التوبة].

والآيات في تكفير اليهود والنصارىٰ وبيان نوع كفرهم وشركهم وتحريفهم للكلم عن مواضعه كثيرة جدًّا.

وقد دعاهم الله إلىٰ الدخول في الإسلام بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ۝٤٧﴾[النساء].

وكل ذلك دليل كفرهم وخروجهم من الدين الصحيح وأنهم كذَّبوا بالحق لما جاءهم مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فلذلك حلَّت عليهم اللعنة والغضب واستحقوا العذاب في الآخرة، قال تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨﴾[المائدة]، ولا شك أن تكذيبهم لمحمد ﷺ وما جاء به هو أعظم الكفر. وهم المرادون بقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٦٠﴾[المائدة:٦٠].

فتأمل هذه الآيات وما بعدها وما يشابهها في سورة النساء تجد أن جميع من كذّب محمدًا ﷺ أو خرج عن شرعه أو أنكر رسالته أو ادعىٰ أنه رسول العرب أو نصب العداوة للمسلمين أتباع هذه الشريعة المحمدية، أنه كافرٌ مستحقٌ لغضب الله ولعنته وعذابه، ولا ينفعه انتماؤه إلىٰ الأديان السابقة والمنسوخة المحرَّفة.

ذكر المصنف حفظه الله ﷻ في هذه الجملة الأدلة الشرعية الظاهرة في ذم اليهود والنصارىٰ وبيان كفرهم، فذكر أن أعظم سورة في القرآن الكريم قد اشتملت علىٰ ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾، وقد روي عن النبي ﷺ بأسانيد يشد بعضها بعضا تفسير المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارىٰ، ونقل ابن أبي حاتم الإجماع علىٰ تفسير هذه الجملة بما ذكرنا آنفا، ودل هٰذا علىٰ أن صراط المنعم عليهم هو خلاف صراطهم.

ثم ذكر ما جاء في القرآن الكريم من إكفارهم في قوله تعالىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾، وذكر من شركهم قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ فادعوا أن لله ﷻ ولدا يضاهئون قول الذين كفروا من قبل.

ثم ذكر أن الآيات في تكفير اليهود والنصارىٰ وبيان نوع كفرهم وشركهم وتحريفهم للكلم عن مواضعه كثيرة جدا.

ثم ذكر أن الله ﷻ قد دعا أهل الكتاب إلىٰ الدخول في الإسلام تارة باندراجهم في الخطاب العام بـ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، وتارة بخطاب خاص كما في هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ إلىٰ آخر الآية ولو كانوا علىٰ دين حق لما أحتاج الرب ﷻ إلىٰ أمرهم بأمر جديد في اتباع دين النبي ﷺ، ولما كانوا علىٰ هذه الحال غضب الله ﷻ عليهم ولعنهم كما جاء ذلك في آيات كثيرة، ومن أعظم الأسباب الموجبة للعنهم، تكذيبهم بمحمد ﷺ وبقائهم علىٰ الكفر والشرك، فآيات القرآن صريحة واضحة في إكفار اليهود والنصارىٰ وأنهم مستحقون لغضب الله ولعنته.

بقي التنبيه إلىٰ دقيقة من دقائق الخطاب القرآني وهو: أنه لم يأت قط في القرآن الكريم إطلاق اسم المشركين علىٰ أهل الكتاب، بل صريح القرآن المغايرة بينهم وبين المشركين كما قال الله ﷻ: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[البينة:١] والأصل في العطف أن يكون للمغايرة، وإنما جاء ذكر شركهم، فذكرت آيات عدة فيها إثبات وقوع فعل الشرك منهم، وفرق بين وصفهم باسم الفاعل المشرك وبين نسبة الفعل إليهم، لأنهم لما كان أصل دينهم صحيحا ووقع منهم الشرك لم تكمل فيهم صفة الإشراك، فعبَّر عن فعلهم بالفعل دون اسم الفاعل.

أما من كان من غير أهل الكتاب ممن وقع فيه الشرك ولا دين له كأهل الجاهلية فأولئك قد انغمسوا في الشرك، فصح أن يطلق عليهم اسم الفاعل.

ولهٰذا إذا قيل هل اليهود والنصارىٰ مشركون أم ليسوا بمشركين، فما الجواب ؟

[**الجواب:**] يقال: جواب ذلك التفصيل بأن يقال:

* إن أريد بذلك نسبتهم إلىٰ فعل الشرك فهٰذا صحيح، فقد وقع منهم الشرك،

* وإن أريد أنهم انغمسوا في الشرك حتىٰ صار دينهم دين المشركين وخلوا من أصل ديانة إلهية، فهٰذا غير صحيح.

ولذلك جاء التفريق بين هذين المأخذين في القرآن، فاقتصر في القرآن علىٰ ذكر الفعل دون الوصف باسم الفاعل، وإنما وقع الوصف باسم الفاعل علىٰ مشرك أشرك ليس لدينه أصل إلهي، وبهٰذا ينحل الإشكال في هذه المسألة.

الإسلام هو الدين الصحيح وغيره محرف ومنسوخ:

وقد أقام الله البراهين والأدلة علىٰ صحة هذه الرسالة والشريعة وأمر بإبلاغها للخاص والعام، فمن بلغته فعاند وعصىٰ وركب هواه واتبع الأديان الباطلة وتمادىٰ في غيه، فإن مصيره إلىٰ النار وبئس القرار.

ولا شك أن الأديان السماوية كانت سبيل النجاة قبل تحريفها ونسخها، لكنْ وقع من أهلها التحريفُ للكلم عن مواضعه، وتغييرُ شرع الله، ثم عصيان هٰذا النبي الكريم، فبطل التمسك بها؛ مع أن الأديان الباقية الآن كلها باطلة حيث دخلها الشرك بالله وعبادة الأنبياء كالمسيح وأمه والعُزَيْر والصالحين، وتغيير دين الله عما هو عليه، والتعبد بما لم يأذن به الله؛ فيُحكم عليهم بأنهم كفار فلا يدخلون في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[البقرة].

فالإيمان بالله يستلزم تصديق رسله وخاتمهم محمد ﷺ، ويستلزم تقبُّل كلامه القرآن الكريم فلا يدخل في ذلك من كذَّب محمدًا أو طعن في القرآن ولو عمل ما عمل من الصَّدقات والصلوات الباطلة.

ذكر المصنف حفظه الله في هذه الجملة أن الإسلام هو الدِّين الصحيح وجميع ما تَقدَّمه من الأديان فإنه قد صار ببعثة النبي ﷺ منسوخًا، وقد كانت بعض الأديان الصحيحة في أزمانها كما كان عليه بنوا اسرائيل في عهد موسىٰ وعيسىٰ - عليهما الصلاة والسلام - وغيرهما من أنبياء بني إسرائيل الذين بعثهم الله ﷻ فيهم.

ثم لما دخل دين أهل الكتاب التحريف والتغير والتحويل وبعث النبي ﷺ صارت هذه الأديان باطلة.

وأصل هٰذا المأخذ الذي عنون به المصنف قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩] فهذه الآية دالةٌ علىٰ أن الدين المقبول الصحيح عند الله ﷻ هو دين الإسلام، واسم الإسلام في هذه الآية له معنيين:

أحدهما: معنىٰ عام، والمراد به إسلام الوجه، فيشمل جميع أديان الأنبياء، فتكون صحيحةً قبل تحريفها وبعثة النبيِّ ﷺ.

والثاني: معنىٰ خاص، وهو الدين الذي بعث به النبي ﷺ، ويكون هٰذا المعنىٰ الآية بعد بعثة النبي ﷺ، فلما بُعث ابو القاسم - صلوات الله وسلامه عليه - لم يكن حينئذ في الوجود دينٌ يقال له: الإسلام إلا الدين الذي جاء به محمد ﷺ.

أعمال الكفار الصالحة وعبادتهم تكون هباءً منثورًا

وقد أخبر الله أن أعمال الكفار تكون هباءً منثورًا، منها: أعمال أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالله وبرسله وكتبه.

فقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[المائدة]. دليلٌ علىٰ أنهم ليسوا علىٰ دين، وأن عبادتهم باطلة حيث لم يؤمنوا بما أُنزل إليهم من ربهم ولم يقيموا التوراة والإنجيل فإن إقامتها تستلزم اتباع النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، فمن لم يتبعه لم يكن علىٰ شيء.

وهكذا اشترط الله للأمن الإيمان بالله واليوم الآخر في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[البقرة].

فلابد من الإيمان بالله الذي يستلزم تصديق رسله وخاتمهم محمد ﷺ، فلم يُقبل منهم الإيمان إلا بشرط وهو التصديق بما جاءت به الرسل.

ولا شك أن العمل الصالح الذي اشترطه الله للمؤمنين لا يحصل إلا بما وافق شرع الله المنزَّل علىٰ نبيه ﷺ، وقد فسَّر النبي ﷺ الإيمان بأركانه الستة، ومنها الإيمان بالرسل والكتب وهو يستلزم الاتباع للرسل وخاتمهم محمد ﷺ، والعمل بالكتب وخاتمها القرآن الكريم، فمن لم يتَّبعه فليس بمؤمن ولا ينفعه عمله، ولو عمل أي عمل.

ومعلوم أن الإسلام في وقت كل نبي هو اتباع ما جاء به؛ فاتباع موسىٰ في زمنه، واتباع عيسىٰ في وقته سُمّي إسلامًا، لكن زال بعد أن حُرِّفت تلك الشرائع ونُسخ ما بقي منها.

ثم إنَّ حجة الله قائمة، فكتاب الله تعالىٰ محفوظ، وقد تُرجم وفُسِّر بكل اللغات، وانتشر الإسلام وبلغ أقصىٰ الأرض وأدناها ولم يبق لأحد عذر، حيث إن دين الإسلام مشهور معروف ولا يحتاج إلىٰ زيادة تَعَلُّم، وكل من دخل فيه أمكنه أن يعرف ما أوجب الله عليه في بضعة أيام، ويعمل بما يقدر عليه، ولا يلزمه معرفة التفاصيل دُفعة واحدة، فالزكاة لا تلزم الفقير، والصوم لا يكون إلا في السنة مرة، وأحكامه سهلة، والحج في العمر مرة واحدة علىٰ المستطيع، والمحرَّمات يمكن معرفتها في مجلس واحد، فكيف يُقال: إن اعتناق الإسلام يستدعي بضع سنوات في دراسته وعرضه علىٰ الأديان الأُخرىٰ.

وقد شوهِدَ أنه دين الفطرة التي فطرَ الله الناس عليها، فمن لم يتبعه مع سماعه به فهو من أهل النار، ومن لم يبلغه ولم يسمع به فهو كأهل الفترات يحكم الله فيهم بما يشاء.

والله المستعان، وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم.

ختم المصنف حفظه الله ﷻ هٰذا الكتاب بتقرير أن أهل الكتاب ليسوا علىٰ شيء بعد بعثة النبي ﷺ؛ لأن الله ﷻ قال لهم: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ولو صدقوا في إقامتها لاتبعوا النبي الأمي ﷺ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، فلما لم يقع منهم هٰذا الإتباع عُلم أنهم كائنون علىٰ هذه الحال فعباداتهم باطلة ودينهم عاطل، وأعمالهم مآلها إلىٰ الصيرورتها هباءٍ منثورٍ كما قال تعالىٰ: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان].

وهكذا اشترط الله ﷻ للأمن: الإيمان بالله واليوم الآخر، فإنَّ الله لما ذكر اليهود والنصارىٰ وأخبر أن لهم أجرا عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، شرَط ذلك بشرط الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، ومن كان مؤمنا بالله واليوم الآخر من هؤلاء فإنه يضطر دون محيدٍ إلىٰ الإيمان بالنبي ﷺ وإتباعه والتصديق بدينه وترك الدين القديم الذي كان عليه، كما أنه لا يتيسر له العمل الصالح حتىٰ يكون متابعا للنبي ﷺ، ولا يمكنه هٰذا مع أعمال وهو باقٍ علىٰ دين اليهود والنصارىٰ.

فلا مناص لهؤلاء إن أرادوا ما وعدهم الله ﷻ من الأجر لا مناص لهم من ترك أديانهم الباطلة والانخلاع منها والإيمان بمحمد ﷺ، والتصديق بدينه واتباع شريعته.

ثم ذكر المصنِّف ما أراد به إبطال دعوىٰ هٰذا المدعي بأن أكثر أهل الأرض لم يسمعوا بالإسلام وأنهم يحتاجون إلىٰ مدة مديدة لأجل دراسة هٰذا الدين وعرضه علىٰ الأديان التي يؤمنون بها، فأخبر أن (حجة الله) بحمد الله (قائمة) ولاسيما في هذه الأزمان، فقد ترجم القرآن الكريم (وانتشر الإسلام وبلغ أقصىٰ الأرض وأدناها)، وهٰذا يؤخذ منه قيام الحجة في العموم لا علىٰ الأفراد، فقد يوجد بعض الأفراد لم يسمع بهٰذا أو سمع بها علىٰ غير الوجه الصحيح، فإن النبي ﷺ لما قال: «لا يسمع بي أحد يهودي ولا نصراني» قال: «يسمع بي» فلابد أن يكون السماع صحيحًا برسالته وخبره، أما لو سمع بدعوة النبي ﷺ علىٰ وجه يخالفُ الواقع والحقيقة فحينئذ لا يكون من جملة من قامت عليه الحجة وصار مندرجًا في جملة الحكم الماضي.

والمقصود أن المصنف أراد بيان الحجة العامة بظهور هٰذا الدين، وهذه تنفع في رد الدعوىٰ بأن كثيرا من الناس لم يسمعوا، بل أكثر الناس سمعوا بالإسلام، وإن كان يوجد في زماننا هٰذا من لم يسمع بالإسلام كما وجد هٰذا في الأزمان الماضية.

كما أن هٰذا الدين بحمد الله هو دين الفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، فما أن يلامس قلب أحد إذ سمع أخباره حتىٰ يؤمن به إذا كان طالبًا للحق مريدا له، ومن لم يبلغه هٰذا الدين ولم يسمع به فهو كأهل الفترات الذين يحكم الله ﷻ فيهم بما شاء، وقد ثبت في حديث الأسود بن سريع عند أحمد «أن أهل الفترات يمتحنون يوم القيامة».

وهٰذا آخر التقرير علىٰ هٰذا الكتاب، ونكون بحمد الله وعونه وتوفيقه قد بلغنا خمسة دروس من هٰذا البرنامج هي سدس الطريق، نسأل الله ﷻ أن يرزقنا التَّمام ومِسك الختام، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.